

مختصر ابن كثير

23 - إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم .

- 24 - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

- 25 - يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين .

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج الغالب { المؤمنات } فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق Bهما وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن وقوله تعالى : { لعنوا في الدنيا والآخرة } كقوله : { إن الذين يؤذون الله ورسوله } الآية وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة Bها قال ابن عباس : نزلت في عائشة خاصة وعن عائشة Bها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس عندي إذ أوحى إليه قال : إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات وأنه أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح على وجهه وقال : " يا عائشة أبشري " قالت فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقراً : { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات - حتى بلغ - أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم } (أخرجه ابن جرير) وقال الضحاك : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } الآية : يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وبأؤوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم } فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد . وقال ابن جرير : فسر ابن عباس سورة النور فلما أتى على هذه الآية { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } الآية قال : في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة (قوله وهي مبهمة : أي عامة في تحريم قذف كل محصنة) وليست لهم توبة ثم قرأ : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا } الآية قال : فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

اﻟﻤﻮﺳﻠﻢ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻗﺎﻝ : " ﺍﺟﺘﻨﺒﻮﺍ ﺍﻟﺴﺒﻊ ﺍﻟﻤﻮﺑﻘﺎﺕ " ﻗﻴﻞ : ﻭﻣﺎ ﻫﻦ ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ؟ ﻗﺎﻝ : " ﺍﻟﺸﺮﻙ ﺑﺎﻟﻤﻨﻪﻭﻧﻪ ﻭﺍﻟﺴﺤﺮ ﻭﻗﺘﻞ ﺍﻟﻨﻔﺲ ﺍﻟﺘﻲ ﺣﺮﻡ ﺍﻟﻠﻪ ﺇﻻ ﺑﺎﻟﺤﻖ ﻭﺍﻛﻞ ﺍﻟﺮﺑﺎ ﻭﺍﻛﻞ ﻣﺎﻝ ﺍﻟﻴﺘﻴﻢ ﻭﺍﻟﺘﻮﻟﻲ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﺰﻫﻒ ﻭﻗﺬﻑ ﺍﻟﻤﺤﺼﻨﺎﺕ ﺍﻟﻐﺎﻓﻼﺕ ﺍﻟﻤﺆﻣﻨﺎﺕ " (ﺁﺧﺮﺍﻫ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﺤﻴﺢ) . ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻳﻮﻡ ﺗﺸﻬﺪ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻨﺘﻬﻢ ﻭﺍﻳﺪﻳﻬﻢ ﻭﺍﺭﺟﻠﻬﻢ ﺑﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻌﻤﻠﻮﻥ } ﻋﻦ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻗﺎﻝ : ﺇﻧﻬﻢ ﻳﻌﻨﻲ ﺍﻟﻤﺸﺮﻛﻴﻦ ﺇﺫﺍ ﺭﺃﻭﺍ ﺃﻧﻪ ﻻ ﻳﺪﺧﻞ ﺍﻟﺠﻨﻪ ﺇﻻ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻗﺎﻟﻮﺍ : ﺗﻌﺎﻟﻮﺍ ﺣﺘﻰ ﻧﺠﺪ ﻓﻴﺠﺪﻭﻥ ﻓﻴﺨﺘﻢ ﻋﻠﻰ ﺃﻓﻮﺍﻫﻬﻢ ﻭﺗﺸﻬﺪ ﺍﻳﺪﻳﻬﻢ ﻭﺍﺭﺟﻠﻬﻢ ﻭﻻ ﻳﻜﺘﻤﻮﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺣﺪﻳﺜﺎ .

ﻭﺭﻭﻯ ﺍﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﺣﺎﺗﻢ ﻋﻦ ﺃﻧﺲ ﺑﻦ ﻣﺎﻟﻚ ﻗﺎﻝ : ﻛﻨﺎ ﻋﻨﺪ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻀﺤﻚ ﺣﺘﻰ ﺑﺪﺕ ﻧﻮﺍﺟﺬﻩ ﺛﻢ ﻗﺎﻝ : " ﺃﺗﺪﺭﻭﻥ ﻣﻢ ﺃﻀﺤﻚ ؟ " ﻗﻠﻨﺎ : ﺍﻟﻠﻪ ﻭﺭﺳﻮﻟﻪ ﺃﻋﻠﻢ ﻗﺎﻝ : " ﻣﻦ ﻣﺠﺎﺩﻟﺔ ﺍﻟﻌﺒﺪ ﺭﺑﻪ ﻳﻘﻮﻝ : ﻳﺎ ﺭﺏ ﺃﻟﻢ ﺗﺠﺮﻧﻲ ﻣﻦ ﺍﻟﺰﻟﻤ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﺑﻠﻰ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﻻ ﺃﺟﻴﺰ ﻋﻠﻲ ﺷﺎﻫﺪﺍ ﺇﻻ ﻣﻦ ﻧﻔﺴﻲ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﻛﻔﻰ ﺑﻨﻔﺴﻚ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻋﻠﻴﻚ ﺷﻬﻴﺪﺍ ﻭﺑﺎﻟﻜﺮﺍﻡ ﻋﻠﻴﻚ ﺷﻬﻮﺩﺍ ﻓﻴﺨﺘﻢ ﻋﻠﻰ ﻓﻴﻪ ﻭﻳﻘﺎﻝ ﻟﺄﺭﻛﺎﻧﻪ : ﺍﻧﻄﻘﻲ ﻓﺘﻨﻄﻖ ﺑﻌﻤﻠﻪ ﺛﻢ ﻳﺨﻠﻰ ﺑﻴﻨﻪ ﻭﺑﻴﻦ ﺍﻟﻜﻼﻡ ﻓﻴﻘﻮﻝ : ﺑﻌﺪﺍ ﻟﻜﻦ ﻭﺳﺤﻘﺎ ﻓﻌﻨﻜﻦ ﻛﻨﺖ ﺃﻧﺎﻅﻞ " (ﻭﺭﻭﺍﻩ ﻣﺴﻠﻢ ﻭﺍﻟﻨﺴﺎﺋﻲ) . ﻭﻗﺎﻝ ﻗﺘﺎﺩﺓ : ﺍﺑﻦ ﺁﺩﻡ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﺇﻥ ﻋﻠﻴﻚ ﻟﺸﻬﻮﺩﺍ ﻏﻴﺮ ﻣﺘﻬﻤﺔ ﻣﻦ ﺑﺪﻧﻚ ﻓﺮﺍﻗﺒﻬﻢ ﻭﺍﺗﻘﺎ ﺍﻟﻠﻪ ﻓﻲ ﺳﺮﻙ ﻭﻋﻼﻧﻴﺘﻚ ﻓﺈﻧﻪ ﻻ ﻳﺨﻔﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﺧﺎﻓﻴﺔ ﺍﻟﻈﻠﻤﺔ ﻋﻨﺪﻩ ﺯﻭﺭ ﻭﺍﻟﺴﺮ ﻋﻨﺪﻩ ﻋﻼﻧﻴﺔ ﻓﻤﻦ ﺍﺳﺘﻄﺎﻉ ﺃﻥ ﻳﻤﻮﺕ ﻭﻫﻮ ﺑﺎﻟﻠﻪ ﺣﺴﻦ ﺍﻟﻈﻦ ﻓﻠﻴﻔﻌﻞ ﻭﻻ ﻗﻮﺓ ﺇﻻ ﺑﺎﻟﻠﻪ .

ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻳﻮﻣﺌﺬ ﻳﻮﻓﻴﻬﻢ ﺍﻟﻠﻪ ﺩﻳﻨﻬﻢ ﺍﻟﺤﻖ } ﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ { ﺩﻳﻨﻬﻢ } : ﺃﻱ ﺣﺴﺎﺑﻬﻢ ﻭﻛﺬﺍ ﻗﺎﻝ ﻏﻴﺮ ﻭﺍﺣﺪ ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﺃﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﻤﺒﻴﻦ } ﺃﻱ ﻭﻋﺪﻩ ﻭﻭﻋﻴﺪﻩ ﻭﺣﺴﺎﺑﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﻌﺪﻝ ﺍﻟﺬﻯ ﻻ ﺟﻮﺭ ﻓﻴﻪ